مظاهر الجرأة في الشعر الإسلامي
دراسة موضوعية

أ.م. د. ضياء غني لفتة

المقدمة

حين اطل الإسلام بنوره على امة العرب فهداها إلى الخلق القويم وغير كثير من النظم السائدة في المجتمع البدوي الذي خلقت منه الحياة مجتمعا يؤمن بالحرية المطلقة والاستقلال ،فوضع حدودا تمنع الفساد والانحراف كتحريم الخمر والميسر والبغاء ، ووضع الحدود التي تمنع الفوضى وتنظم العلاقات بكل إشكالها ، وقد شملت تلك الحدود الإبداع الأدبي ولاسيما الشعر فقد حرم الإشعار التي تتنافى مع الدين الجديد، ووجهه وجهة اخرى ، متمثله بربطه بالقيم والمبادئ التي جاء بها ، فجعل الشعر أداة لخدمته . وهذه الوجهة الجديدة أشار إليها القران الكريم والسنة النبوية من بعده[١] (سورة الشعراء ٢٢٤) بل ان موقف الرسول واضح لا يحتاج إلى تفسير والكتب الأدبية والتاريخية فصلت الأمر بشكل جلي ، وكما يتضح من موقفه من امرئ القيس[٢] وكعب بن زهير[٣] ولعل الاتجاه الآخر يبين مصداق ما نذهب إليه ، إذا ان الرسول الكريم قد امتدح الشعر الذي يدافع عن القيم الإسلامية ، وكما يتجلى ذلك في موقفه من شاعر الدعوة حسان بن ثابت والأقوال التي قيلت بحقه وشجعته على الإنشاد وفق هذه الرؤية[٤] لذا نهي النبي عن رواية الشعر الجاهلي الذي يناقض هذه المبادئ ، فقد نهى عن رواية قصيدة الافوه الاودي التي يهجو بها بني هاجر ويذكر إسماعيل[٥] ونهى عن رواية قصيدة لامية بن أبي الصلت يحرض فيها قريشا بعد وقعة بدر ويرثي قتلاهم[٦] ومع هذا كان يعجب بالإشعار التي تتضمن بعدا اخلاقيا أو تنطوي على الحكمة ، فكان يعجب باشعار عنترة بن شداد التي تنطق باشياء توافق ما جاءت به الدعوة الإسلامية فقال عنه " ماوصف لي إعرابي قط فأحببت ان أراه إلا عنترة "[٧] وهذا الموقف انسحب ليكون بعد ذلك منطلقا للخلفاء فأبو بكر الصديق يعجب بقول زهير بن أبي سلمى[٨]:

والسّـــــتُر دون الفاحشـــــات ومـــــا يلقـــــاك دون الخيـــــر مـــــن ســـــترِ

فقال "هكذا كان والله رسول الله (ص)" ليعده بعد ذلك اشعر الشعراء[٩] للمضمون الأخلاقي في شعره ،وهو لايختلف عن موقف الخليفة عمر بن الخطاب (رض) حين سمع بيت زهير بن أبي سلمى :

وانَّ الحـــــقّ مقطعـــــه ثـــــلاثٌ يمـــــين أو نفـــــارٌ أو جـــــلاءُ

فاخذ يردد البيت لإعجابه به(١٠) فهو موقف أخلاقي من الشعر الذي يتخذ من الإسلام ومبادئه مضمونا له . وهي مواقف لاتختلف عن موقف الإمام علي عليه السلام[١١] إيمانا منهم من ان الشعر يمثل جوهر الهوية العربية وعنوان ثقافتها ومن قبل قالها الرسول الكريم لعلمه بأهمية الشعر ومكانته عند العرب " لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين "[١٢] فالشعر استجابة لنوازع إنسانية ووجدانية ، وتعبير عن ثقافة وبيئة . ومنذ ظهور الإسلام اخذ الشعر يتصل بالدعوة الإسلامية بشكل أو آخر ، وقد كان بعض الشعراء المخضرمين أكثر الشعراء معاناة في الاتصال بالمجتمع والتكيف معه ، ووجدوا صعوبة في هذا الاتصال . ولا نكاد ان نجد عندهم اختلافا في إشعارهم بين الجاهلية والإسلام ، أو بعض الشعراء ممن اتهموا بالدين الرقيق ، كما نجد ذلك عند الحطيئة وأبو الطحمان القيني . وأصبحت إشعارهم التي تدور خارج الفضائل التي أكدها الإسلام محط الرفض والملاحقة.

الجرأة لغة :

الجرأة في اللغة الشجاعة ، يقال الجراءة والجرائية : الشجاعة وهي الإقدام على الشيء من غير رويّة ولا توقف ، ورجل جريء المقدَم أي جريءٌ عند الإقدام ، والجمع أجراء كأشراف [١٣]وتشير أيضا إلى معنى الجسارة والوقاحة ، فيقال : اجترأ فلان على فلان إذا أقدم عليه اجتراءً والاسم الجرأة والجراءة[١٤] ، واجترأ : جسر ، وجُرأة وجراءة: جسارة ووقاحة.[١٥] وتجارأ تجاسر، صار جريئا ، وجريء اللسان : سليط اللسان ، من يتكلم بغطرسة ووقاحة ... اجتراء : فسوق ، إباحة ، سلوك مناف للحشمة والوقار[١٦] ويتضح مما سبق ان الجرأة تحمل في طياتها معاني متناقضة بين الايجابي والسلبي ، الايجابية تكمن في الإقدام على الصعاب من الأمور وفي المواقف التي تتطلب شجاعة وتضحية من اجل الأهداف والمبادئ ، وهي شرط أساسي لقيادة المواقف والحروب إذ ينبغي لمن يقود الجيش ، ان يكون رجلا ذا نجدة وجرأة ، ثابت الجأش ، صارم القلب ،[١٧] والسلبية تتمثل في السلوك المنافي للحشمة والوقار والخروج على حدود العفة والاخلاق والتقاليد أو التعاليم الدينية يقول الرسول (ص) " أجرؤكم على الفتيا ، اجرؤكم على النار "[١٨] أو تكون رياءً ، قال (ص) " إنَّ من شر الناس رجلا فاجرا جريئا يقرأ كتاب الله ولايدعو إلى شيء منه "[١٩] ، فالجرأة تضم في طياتها معان تحددها طبيعة الموقف .

الجرأة في العصر الإسلامي :

لا تكاد تخرج الجرأة في العصر الإسلامي عن أنواع يمكن ان نوجزها على النحو الاتي :

١. الجرأة السياسية.

٢. الجرأة الدينية .

٣. الجرأة الاجتماعية .

وتتمثل الجرأة السياسية في مواجهة الواقع السياسي والتجرؤ على الخلفاء والأمراء وسادة القوم أو من بيدهم الحل والعقد.

اما الجرأة الدينية فهي تمثل التطاول على القيم الدينية والاستهانة بالتعاليم التي نزل بها القران الكريم ووضحتها السيرة النبوية .

اما الجرأة الاجتماعية فتتمثل بالخروج على الأعراف والتقاليد ، والتصرف وفق رغبات يرفضها المجتمع وينظر إليها كنوع من الانحراف ، وهي لا تكاد تختلف اختلافا كبيرا عن الجرأة الدينية ، إذا ان الكثير من العادات والتقاليد الاجتماعية قد قامت وبنيت على أساس ديني .

ان فهم النصوص يتوجب علينا لا نفصلها عن سياقها الاجتماعي والسياسي والبيئي الذي ظهرت فيه . فضلا عن الحكم عليها بعيدا عن موقفها المعارض للمفهوم الأخلاقي .

١. الجرأة السياسية:

لقد حملت بعض القصائد مضمونا توجيهيا إلى الخلفاء ، في محاولة منهم لتوجيههم إلى المسلك الصحيح ، وكأنهم يرسمون سياسة جديدة ، يجب على الخليفة ان يتبعها ، كما في قول الشاعر يزيد بن قيس الكلابي مخاطبا الخليفة عمر بن الخطاب (رض) :

ابلـــغْ أميـــرَ المـــؤمنين رسالـــةً فأنـــتَ أمـــين الله فـــي النهـــي والأمـــرِ
وأنـــتَ أمـــينُ الله فينـــا ومـــنْ يكـــُن أمينـــاً لـــربّ النـــاس يَسُـــلم لـــه صـــدري
فـــلا تـــدعنَّ أهـــل الرَّســـاتيق والقـــرى يضـــيعون مـــالَ الله فـــي الأدم الوفـــر
فأرســـل إلـــى الحجـــاج فـــأعرف حســـابه وأرســـل إلـــى جـــزء وأرســـل إلـــى بشـــر
وتَنْســـــينَّ النـــــافعين كليهمـــــا ولا ابـــن غـــلاّب مـــن ســـراة بنـــي نصـــر
ومـــا عاصـــمٌ منّـــا بصـــفرٍ عنانـــه وذاك الـــذي فـــي السّـــوق مـــولى بنـــي بـــذر
وأرســـل إلـــى النعمـــان وابـــن مغفـــلٍ وصـــهر بنـــي غـــزوان انـــي لـــذو خُبـــرِ
وشـــبلٍ هنـــاك المـــال وابـــن محـــرَّشٍ وقـــد كـــان فـــي أهـــل الرَّســـاتيق ذا ذكـــر
فأرســـل إلـــيهم يَصـــدُقوك ويُخبـــروا أحاديـــث هـــذا المـــال ذي العلـــم الـــدَّثر
فقاســـمهُمُ نفســـي فـــداؤك إنهـــم سيرضـــون إن قاســـمتهم منـــك بالشَّـــطر[٢٠]

وهكذا يستمر الشاعر بتوجيه الخليفة إلى ما يقوم به ولاة الأمر من أمور لا تمت إلى الإسلام بصلة حتى اثروا على حساب أموال المجتمع ، وبالوقت نفسه يعكس عدم معرفة الخليفة بما يجري في تلك الأقاليم .

فحين يجد الشعراء ولاة الأمر قد خرجوا عن طريق الصواب ، نجدهم يتحدثون بجرأة هدفها التقويم والتنبيه على ما تغفل عنه عيونهم ، ولاسيما حين يتعلق الأمر بحقوق المسلمين ، فلا يخش الشاعر لومة لائم حتى لو كان خليفة المسلمين ، وهذا ما نلحظه في قول عبد الرحمن بن حنبل ، موجها الخطاب إلى خليفة المسلمين عثمان بن عفان (رض) بنبرة تهديد وصرامة ، معاتبا له على تبديده أموال المسلمين على ذويه وأقاربه ، فيقول :

واحلفُ بالله جهدَ اليمين ما تركك الله أمراً سُدى
ولكن جُعلتَ لنا فتنةً لكي نبتلي بك أو تُبتلى
دعوتَ الطريد فأدنيتهُ خلافاً لما سنهُ المصطفى
ووليت قُرباكَ أمرَ العبادِ خلافاً لسنَّة من قد مضى
وولَّيتَ مروان خُمسَ الغنيـ ـمةِ آثرتهُ وحميتَ الحمى
فان الأمينين قد بيَّنا منارَ الطَّريقِ عليه الهدى
فما أخذا درهما غيلةً ولا قسما درهماً في هوى[٢١]

اما الشاعر الحطيئة فقد اسلم أيام النبي – صلى الله عليه وسلم – وعلى أي حال فقد كان إسلامه ضعيفا شأنه في ذلك شأن اغلب العرب في ذلك الحين فقد كانوا حديثي عهد بجاهلية ولم يستطيعوا التأقلم مع حياة الإسلام الجديدة بسرعة نظرا للتغيير الهائل السريع الذي أحدثه الإسلام في حياة الناس، ولكن الحطيئة على أي حال كان ممن دخلوا في دين الله أفواجا.يقول في ابيات يبين فيها ردته عن الاسلام وعدم قناعته به ، وكأن وفاة الرسول (ص) كانت مسوغا له ليعلن عن عدم قناعته بالسلام محرضا المشركين على قتال المسلمين، قائلا:

الا كلُّ أرماح قصارٍ أذلّةٍ فداءٌ لأرماح رُكزْن على الغمرِ
وان التي سألوكم فمنعتم لكالتمرِ أو أحلى لخلفِ بني فهر
فباسْتِ بني عبسٍ وأفناء طيئٍ وباسْتِ دُودانَ حاشا بني نضر
فدىً لبني ذُبيانَ رحلي وناقتي عشيّةَ ذادوا بالرماح أبا بكر

أطعنـــا رســـول الله اذ كـــان بيننـــا فيـــا لهفتـــي مـــا بـــال ديـــن أبـــي بكـــر
أيورثهـــا بكـــراً إذا مـــات بعـــده فتلـــك وبيـــت الله قاصـــمةُ الظهـــر
فقومـــوا ولا تعطـــوا اللِّئـــام مَقـــادةً وقُومـوا وان كـان القيـامُ علـى الجمـر[٢٢]

فهو يدعو للخروج على الخليفة ، وعدم الانصياع الى خلافته ، والامتناع عن دفع الزكاة ، ويهاجم القبائل التي رضخت للزكاة كبني عبس وبني دودان . ونحن نعرف ان الحطيئة وكما تؤكد المصادر قديما وحديثا انه اسلم إسلام سوء ، فابن قتيبة يقول كان رقيق الإسلام[٢٣] والأصمعي يرى بأنه " كان كثير الشر ، قليل الخير ، فاسد الدين "[٢٤] وهذا الراي تداوله المحدثون فالدكتور طه حسين يرى ان الشاعر لم تطمئن نفسه للدين الجديد ، وكان الإسلام قد حال بين عواطفه الجاهلية وبين ظهورها بشكل يتيح لها النمو فتأتي ثمارها ، فضلا عن بشاعة منظره وعدم استقرار نسبه ، فما كان منه الا ان يدافع عن نفسه ، فكان مضطربا وأكثر اضطرابه حدث في الإسلام ، لان هذا الدين لم يمس قلبه ، وأكثر هذه الإخبار تظهر في بداية خلافة عمر (رض) وأوائل خلافة عثمان (رض) أي في المدة التي مثلت الدين الإسلامي الدقيق في تعاليمه[٢٥] ويقرر الدكتور طه حسين حقيقة مفادها ان الحطيئة " اتخذ لنفسه من الاسلام رداء ، لم يشك الرواة في انه كان رقيقا جداً يشف عما تحته من حب الجاهلية وايثارها والحزن الشديد عليها "[٢٦] بل كان يسخر بالإسلام وتعاليمه وهو على فراش الموت ، حين حضره الموت فقيل له ان يوصي فقال من وصيته : مالِي للذكران دون الإناث ! قالوا : إن الله لم يأمر بهذا . قال : ولكن آمر به .قيل : أوصِ للمساكين بشيء. قال: أوصيهم بالمسألة فإنها تجارةٌ لا تبور ! قالوا: أعتق عبدك يساراً. قال : اشهدوا أنه عبدٌ ما بقى! قيل له : فلانٌ اليتيم ما توصي فيه ؟ قال : بأن تأكلوا ماله ، وتنكحوا أمه![٢٧] وهذه الوصية ان صحت فهي تنطق بجرأة ما بعدها جرأة ، وتخرق كل ما يمت للاسلام بصلة . فهو شخصية قلقة لايقيم للقيم وزنا الا ما ندر يسهل عليه الانتقال من الضد الى الضد حسب تعدد المواقف)[٢٨].

وإذا كان بعض الولاة يعاقر الخمر ، فانه يلقى العذر من الحطيئة ، كما حدث مع الوليد بن عقبة وهو اخو الخليفة عثمان بن عفان وكان قد شرب الخمر بالكوفة وهو على العراق ، فقال لهم يوما في صلاة الغداة بعدما فرغ من الصلاة أأزيدكم ؟ فانشد الحطيئة يمدحه في أسلوب يحمل في طياته السخرية في تهكم سياسي :

شَـــهد الحطيئـــة يـــومَ يلقـــى ربَّـــهُ انّ الوليـــــد أحـــــقٌّ بالعـــــذرِ
نـــــادى وقـــــد قضَّـــــوْا صـــــلاتُهمُ أأزيـــــدكمْ ثَمَلاًومـــــا يـــــدري

خلعـــوا عنانـــك إذ جريْـــتَ ولـــو تركـــوا عنانـــك لـــم تـــزل تجـــري
ورأوا شـــــمائل ماجـــــدٍ أُنُـــــفٍ يعطـــي علـــى الميســـرٍ والعُســـر
فنُزعـــتَ مكـــذوباً عليـــك ولـــم تنـــزعْ الـــى طمـــع ولا فـــقر[٢٩]

ويقول أبو شجرة بن عبد العزى وهو احد المرتدين عن الإسلام ، وقيل انه عاد فاسلم ، وسال عمر بن الخطاب صدقة ذات يوم ، فقال له الخليفة بعد ان عرفه بنفسه ، ياعدو الله ، ألست الذي تقول :

وروّيـــت رمحـــي مـــن كتيبـــة خالـــدٍ وأنـــي لأرجـــو بعـــدها أن أُعمَّـــرا

وهي قصيدة قالها حين حاربه خالد بن الوليد في حروب الردة ، ومطلعها :

صـحا القلـب عـن سـلمى هـواهُ وأقصـرا وطـــاوع فيهـــا العـــاذلين فأبصـــرا

ثم جعل الخليفة يعلوه بالسوط في رأسه حتى سبقه عدوا ، فرجع إلى ناقته فارتحلها ثم أسندها في حرة شوران راجعا إلى ارض بني سُليم ، فقال :

قـد ضـنّ عنـا أبـو حفـصٍ بنائلـهِ وكـــلّ مختـــبطٍ يومـــاً لـــه ورقُ
مـــازال يرهقنـــي حتـــى خـــذيتُ لـــه وحـــال مـــن دون بعـــض الرغبـــة الشـــفقُ
لمّـــا رهبـــتُ ابـــا حفـــصٍ وشـــرطتَهُ والشـــيخ يفـــزعُ أحيانـــا فينحمـــقُ
ثـــم ارعويـــتُ إليهـــا وهـــي جانحـــة مثـــل الطريـــدة لـــم ينبـــت لهـــا ورقُ[٣٠]

٢. الجرأة الدينية:

ويعد الشاعر شبيل بن ورقاء واحدا من الشعراء الذين نقلت عنهم الإخبار تطاولهم على ثوابت الدين الإسلامي في بيت منفرد ، يعبر عن فلسفة شاعر أدرك الإسلام واسلم إسلام سوء ، معبرا عن ذلك بقوله :

وتـــأمرني بالصـــوم لا در درهـــا وفـــي القبـــر صـــوم لا ابالـــك طويـــل[٣١]

فهو يعبر عن اعتراضه على احد أركان الإسلام الأساسية في حالة من التذمر .

و كان أبو محجن الثقفي شاعراً مطبوعاً وصحابياً جليلاً وفارساً بطلاً، اختلف في اسمه، فقال الأصفهاني: "هو أبو محجن عبد الله بن حُبيِّب بن عمرو"[٣٢].

وقال الآمدي: "حَبيب بن عمرو بن عمير"[٣٣] وقال القرطبي: "اسمه مالك بن حبيب" وقيل: اسمه كنيته"[٣٤]. وقال العسقلاني: "قيل: هو عمرو بن حبيب بن عمرو" و"قيل: اسمه كنيته، وكنيته أبو عبيد، وقيل: اسمه عبد الله، وأمه كنود بنت عبد الله بن عبد شمس"[٣٥]. وقال ابن حزم: "أبو محجن بن حبيب بن عمرو بن عمير" و"أمه كنود بنت عبد أمية بن عبد شمس بن عبد مناف"[٣٦] ومهما يكن من أمر هذا الخلاف، فالثابت أن نسبه ينتهي إلى ثقيف، اشترك في الجاهلية معها في محاربة المسلمين، وكان أحد الذين دافعوا عن الطائف عندما حاصرها الرسول(ص) عام ٨هـ/٦٣٠م[٣٧] أسلم – رضي الله عنه – عندما أتى مع ثقيف بعد استسلامها إلى المدينة[٣٨]، وسمع من النبي(ص) وروى عنه[٣٩].

انهمك أبو محجن في الشراب، فحدّه عمر – رضي الله عنه – مراراً، ثم نفاه إلى "حضَوضى"[٤٠] أو إلى "باضع"[٤١]، فهرب، ولحق بسعد بن أبي وقاص بالقادسية، فكتب عمر إلى سعد أن يحبسه، فأوثقه في داره. ولما كان يوم أرماث شديد الهول سأل أبو محجن امرأة سعد أن تحل قيده، ليقاتل المشركين، فقصفهم قصفاً عجباً، ثم رجع، فجعل رجليه في القيد. وحين علم سعد بأمره حل قيده، وقال: "لا أجلدك في الخمر أبداً"، فقال أبو محجن: "وأنا والله لا اشربها أبداً"[٤٢]. وذكر في خبر نفيه سبب آخر، وهو أنه هَوِيَ امرأة من الأنصار، يقال لها: شموس، فحاول النظر إليها بكل حيلة"[٤٣]، ويبدو أنه شبَّب بها أيضاً[٤٤]، "فاستعدى زوجها عليه عمر، فنفاه"[٤٥]. والأرجح أن سعداً حبسه في خمريات، تدب على لسانه، فينفثها،وذلك بعد أن "تاب عنها توبة نصوحاً، فلم يعد إليها"[٤٦].

ولعل الإخبار لاتنقل شيئا منه عن ذلك بل نجد من النقاد من يصفه بالشرف يقول بن سلام الجمحي "**أبو محجن رجل شاعر شريف**"[٤٧]. ولكن النقاد المحدثين أشاروا بشكل صريح إلى ان شهرته جاءت عن طريق خمرياته التي عرف بها سواء أكانت من باب أعذب الشعر أكذبه أم من باب الحقيقة فهي تدل بوضوح على جرأة الشاعر في ذكر الخمرة اذ يقول : رودوكناكيس: "كان أبو محجن في شعره قليل الابتكار" و"ترجع شهرته إلى أشعاره في الخمريات"[٤٨]. ويقول الدكتور صلاح الدين المنجد: "لعل أبا محجن أول رائد في الشعر العربي الإسلامي في وصف الخمر، سبق في ذلك الوليد بن يزيد الأموي، ومن جاء بعده من أوائل الشعراء العباسيين. وفي شعره عذوبة ورقة وطلاوة"[٤٩].

يقول:

إذا مت فادفنيّ إلى جنب كرمةٍ تُروّي عظامي بعد موتي عروقُها[٥٠]

ويقول أيضاً :

ألا سـقّني يـا صـاح خمـراً فـأنني مـا أنـزل الـرحمن فـي الخمـر عـالم
وجـد لـي بهـا صـرفاً لأزداد مأثمـاً ففـي شـرابها صـرفاً تـتم المـآثم
هـي النـار إلا أننـي نلـت لـذة وقضـيت أوطـاري وإن لام لائـم [٥١]

ويقول:

إن كانـت الخمـر قـد عـزّت وقـد منعـت وحـال مـن دونهـا الإسـلام والحـرج
فقـد أباكرهـا ريـاً وأشـربها صـرفاً وأطـرب أحيانـاً فـامتزج
وقـد تقـوم علـى رأسـي مغنيـة فيهـا إذا رفعـت مـن صـوتها، غـنج[٥٢]

وهـي أبيـات تنـادي علـى نفسـها جـرأة ووقاحـة ومجـاهرة بشـرب الخمـر ، مـع علـم الشـاعر بحرمتهـا ، ورفـض المجتمـع لهـا .فشـرب الخمـر جـرأة علـى التعـاليم الإسـلامية ، ولا سـيما ان القـران حرمهـا وعـدها رجسـا مـن عمـل الشـيطان ، فضـلا عـن مضـارها الاجتماعيـة ، فهـي تـذهب بمـروءة الرجل ، وتجعله لايدرك ما يفعل ، يقول النعمان بن عدي احد ولاة الأمر في ميسان :

فمـن مبلـغ الحسـناء أن حليلهـا بميسـان يُسـقى فـي زجـاج وخَنْـتَمِ
إذا شـئتُ غنّتـي دهـاقين قريـة وصـّناجة تحـدو علـى كـلِّ منْسـمِ
إذا كنـت نـدماني فبـالأكبر أسـقني ولا تسـقني بالأصـغر المتـثلَّم
لعـل أميـر المـؤمنين يسـوؤه تنادمنـا فـي الجوسـق المهـدم[٥٣]

هذه الأبيات تدعو صراحة إلى شرب الخمرة وهي جرأة تصدر من ولي للمسلمين ، تحمل في طياتها بعدا دلاليا يعكس التجاوز على ما حرم الله ، وان كان باب الخيال فهو لا يعد مسوغا للشاعر لقوله ، وتذكر الإخبار ان الأبيات حين وصلت إلى الخليفة عمر بن الخطاب عزله عن الولاية .

ويطالعنا الشاعر اللص أبو الطحمان القيني بنص تنطق فيه الجرأة بشرب الخمرة ، قبل ان تفارقه روحه ، في صورة تعكس رقة دينه في أواخر حياته ، وكان الأولى به ان يتحفظ ، ويطلب حسن العاقبة ، فيقول :

ألا عللانـي قبـل نـوح النـّوائحِ وقبـل ارتقـاء الـنفس بـين الجـوانحِ
وقبـل غـدٍ يـالهف نفسـي علـى غـدٍ إذا راح أصـحابي ولسـتُ بـرائحِ

إذا راح أصـــحابي تفـــيضُ عيُـــونهم وغُـــودرتُ فـــي لحـــدٍ علـــى صـــفائحي

يقولـــون: هـــل اصـــلحتُم لأخـــيكم ومـا القبـرُ فـي الأرض الفضـاء بصـالح[٥٤]

ولا نتجاوز في هذه الأبيات قول ابن قتيبة بانه " كان فاسقا "[٥٥] ولا يختلف رأي البكري فيه اذ قال عنه :" وكان خبيث الدين[٥٦]" ولعل رواية ابن قتيبة عن هذا الشاعر تدل بوضوح لا لبس فيه إلى ضعف الوازع الديني للشاعر تلك الرواية التي تحكي قصته مع صاحبة الدير ، وتتافي الأعراف ، فقد قيل لـه : ما ادنى ذنوبك ؟ قال : ليلة الدّيرْ ، قيل لـه : ما ليلة الدّيرْ؟ قال : نزلت بدَيْرانية ، فأكلت عندها طفَيْشَلاً بلحم الخنزير ، وشربت خمرها ، وزنيت بها ، وسرقت كساءها ، ومضيت[٥٧]

وتظهر الجرأة في قول ربيعة بن أمية بن خلف الجمحي ، وكان من مدمني الخمر، وكان يشرب الخمر في رمضان ، يقول في ابيات له :

فـــلا تتركـــوني مـــن صـــبوحٍ مُدامـــةٍ فمـــا حـــرم الله السُّـــلافَ مـــن الخمـــرِ

إذا أمـــرتْ تَـــيْمُ بـــن مُـــرَّة فـــيكمُ فـــلا خيـــر فـــي أرض الحجـــاز ولا مصـــر

فـــانْ يـــكُ إســـلامي هـــو الحـــقُّ والهُـــدى فـــاني قـــد خلَّيتُـــه لأبـــي بكـــرِ[٥٨]

تمزج الجرأة هنا بين الجانب الديني والسياسي وهي كثيرا ما تجسدت في أقوال الشعراء ، فهو يتجرأ في شرب الخمر في سخرية يحاول فيها الشاعر حجاج من يقول بحرمة الخمر ، ويتجرأ مرة أخرى بانه لا يدين بدين الخليفة اذا كان رهط الخليفة أبي بكر الصديق يحكم في الأرض ، مقررا الرحيل بعيدا عن ارض الحجاز ومصر للتخلص من هذا الحكم .

وتظهر الجرأة في قول بن جرموز جرأة تمزج بين الدين والسياسة في قوله للإمام علي بن أبي طالب (ع) :

أتيـــت عليـــاً بـــرأس الزبيـــ ـــر أرجـــو لديـــه بـــه الزّلفـــهْ

فبشَّـــر بالنّـــار إذ جئتـــه فبـــئس البشـــارة والتحفـــهْ

وســـيّان عنـــدي قتـــل الزبيـــر وضـــرطة عنـــز بـــذي الجحفـــه[٥٩]

فالشاعر يتجرأ بالاستئذان في الدخول على الخليفة حاملا معه رأس الزبير بن العوام بعد ان قتله ، وبعد رفض الإمام ذلك ، قال بجرأة دينية تعكس الاستخفاف بالنفس البشرية التي حرم الله قتلها ، بل يجعل تلك النفس تقابل ضرطة عنز ، وهي رؤية تعبر عن انحلال أخلاقي في عصر صدر الإسلام .

واذا كان الجهاد في سبيل الله فرض على المؤمنين لغايتين هما اعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى في الارض اولا ، وانقاذ المؤمنين المستضعفين ثانيا ، فهو وسيلة لا غاية . وعلى المؤمن ان يحتسب في ذلك سبيل الله ، وقد طمأنهم الله تعالى بأنهم سينالون إحدى الحسنيين ، فإما ان يستشهدوا ، وإما ان ينتصروا ،ولكن الأمر عند الشاعر بشر بن أبي ربيعة الخثعمي احد المقاتلين في معركة القادسية يحمل بعدا آخرا ، فيقول :

أنختُ ببابِ القادسيةِ ناقتي وسعدُ بن وقاص عليَّ أميرُ
وسعدٌ أميرٌ شرُّه دونَ خيره وخير أمير العراق جريرُ
وعند أمير المؤمنين نوافل وعند المثنى فضَّةٌ وحريرُ
تذكّر هداك الله وقع سيوفنا ببابِ قُديس والمكرُّ عسيرُ
عشيّة ودَّ القومُ لو أنَّ بعضهم يعارجنا حي طائر فيطيرُ[٦٠]

فهو يجعل المنافع الشخصية الهدف الأول والمتمثلة بالغنائم وكأنه يعيش العصر الجاهلي ، لذا يقارن بين سعد بن أبي وقاص وبين المثنى بن حارثه الشيباني ، ناسيا الهدف الأول إعلاء كلمة الله ، وناسيا الفرض الذي خرج من اجله .

ولعل مفهوم الطرماح بن الحكيم لا يختلف عن مفهوم بشر بن أبي ربيعه للجهاد ، فهو عبارة عن كسب مال ، ومنافع شخصية ، بعيدا عن الجهاد وتعاليمه ، فيقول :

واني لمقتادٌ جوادي وقاذفٌ به وبنفسي العامَ احدي المقاذف
لأكسب مالاً أو أؤول إلى غنى من الله يكفيني عدات الخلائق[٦١]

٣. الجرأة الاجتماعية:

لعل الشاعر تميم ابن مقبل واحدا من الشعراء الذين وجدوا صعوبة في التأقلم مع المجتمع الجديد ، فهو واحد من الشعراء المخضرمين عاش في الجاهلية دهرا ثم أدرك الإسلام فاسلم ، وعاش طويلا في الإسلام وله شعر في وقعة صفين[٦٢] "وهو ممن اسلم بعد فتح مكة[٦٣]" وتذكر الإخبار انه تزوج امرأة أبيه وكان هذا حلالا في الجاهلية ، ثم جاء الإسلام ففرق بينهما ، فكان دائم الذكر لها ، يحن إليها[٦٤] ، ففي أبيات له يتخذ من لوحة الظعن رمزا إلى الدهر الذي فرق بينه وبين حبه تفريقا لا اجتماع بعده ، فيقول :

قـــد فـــرَّق الـــدَّهرُ الحـــيِّ بـــالظَّعن وبـــين أرجـــاء شـــرجٍ يـــوم ذي يقـــن
تفريـقَ غيـر اجتمـاعٍ مـا مشـى رجـلٌ كمـــا تفـــرَّق نهـــجُ الشَّـــام واليـــمنِ
بعـــد ائتمـــارٍ وهـــمٍّ بـــالحُلُول ولـــو حلُّـــو تلـــبَّس فـــي أوطـــانهم وطنـــي

ليمضي بعد ذلك ذكرا الاسم صريحا راسما طريق الرحلة ، فيقول :

ان تـــك دهمـــاءُ قـــد رَثَّـــتْ حبائلُهـــا فمـــا تعلَّلـــتُ مـــن دهمـــاءَ بـــالغَبنِ
ولـــو ترانـــي وإيَّاهـــا لقُلـــتَ لنـــا: كـــأنَّ مـــا كـــانَ مـــن دهمـــاءَ لـــم يكـــن
ان تكـــن لـــي حاجـــةٌ قضَّـــيْتُ أوَّلهـــا فهـــذه حاجـــةٌ أجررتُهـــا رَسَـــني[٦٥]

فتميم يحن إلى حياة الجاهلية وما حنينه إلى الدهماء إلا حنين إلى الأفكار والحياة الجاهلية ، تلك الحياة التي تتيح نمط خاص من العيش تأخذ فيه الحرية كثيرا من الجوانب ، فكانت الدهماء رمزا إلى الانفصال القهري عن الحياة الجاهلية بكل تفاصيلها .يقول ذاكرا الدهماء أيضا:

هـل عاشـقٌ نـال مـن دَهمـاءَ حاجتـهُ فـي الجاهليَّـة قبـل الـدِّين مرحُـومُ[٦٦]

فهو بعيد عن الإسلام متعلق بهذه المرأة التي ورث نكاحها عن أبيه في الجاهلية . بل انه اتهم بالحنين إلى حياة الجاهلية يقول الدكتور يوسف مغنية بان " من شعره حنين إلى أيام الكفر"[٦٧] وهذا مبني على ما ذكره ابن سلام " كان جافيا في الدين ، وقيل له ك أتبكي أهل الجاهلية وأنت مسلم فقال :"[٦٨]

ومـــالي لا ابكـــي الـــديار وأهلهـــا وقـــد زارهـــا زوار عـــك وحميـــرا
وجـاء قطـا الأحبـاب مـن كـل جانـب فوقـــع فـــي اعطاننـــا ثـــم طيـــرا[٦٩]

فهو يحن إلى عرب الجاهلية ، وأسلوب عيشهم ، ذاكرا القبائل اليمنية ، وكأنه يشير إلى ما أحدثه الإسلام من تغير جذري في حياة العرب ، اذا نقلهم من حياة القبلية إلى حياة تخضع لنظام واحد فيقول :

أجـــدّي أرى هـــذا الزمـــان تَغيّـــرا وبطـــنَ الركـــاءِ مـــن مَـــوالّي أقفـــرا
وكـــم تـــرى مـــن منهـــل بـــاد أهلُـــهُ وعيـــد علـــى معروفـــه فتنكَّـــرا
فإمـــا تريـنـــي قـــد اطاعـــتْ جَنِيبتـــي وخُـــيَّطَ رأســـي بعـــدما كـــان أوفـــرا
وأصـبحت شـيخاً اقصـر اليـوم بـاطلي وأدَّيـــتُ ريعـــان الصِّـــبا المُتعـــوَّرا

وقــدَّمتُ قُــدَّامي العصــا أهتــدي بهــا وأصـــبح كـــرِّي للصَّـــبابة أعســـرا

الهفـــي علـــى عـــزٍّ عزيـــزٍ وظهـــرةٍ وظـــلٍّ شـــبابٍ كنـــتُ فيـــه فـــأدبرا[٧٠]

فهو يذكر الجاهلية بشيء من الأسف ، ويربط بينها وبين حياته حين كان شابا وحوله الأعوان ، حتى كان الزمان قد تغير والأرض قد تبدلت ، " فصار يرى نفسه غريبا في مجتمع غريب عنه له مثل وقيم تختلف عن مثل وقيم الجاهلية ، فصار يحن إلى تلك الأيام . ما قبل الإسلام . وفي جوابه عن السؤال أتبكي أهل الجاهلية وأنت مسلم ؟ كنى عما أحدثه الإسلام ، ومثل له بما قال"[٧١] .

ويقول في هذا المعنى أيضا :

فمـــا نحـــنُ إلا مـــن قـــرونٍ تُنُقّصـــتْ بأصْـــغَر ممـــا قـــد لقيـــتُ وأكبـــرا

لقـــد كـــان فينـــا مـــن يحُـــوطُ ذمارنـــا ويُحْـــذي الكمـــيّ الزاعبـــيّ المـــؤُمّرا[٧٢]

ان مرحلة التحول التي حدثت بمجيء الإسلام والانتقال السريع من الجاهلية إذ التحرر وممارسة الحياة بدون حدود وقيود ، وفق أعراف تسنها القبيلة ،إلى مجتمع يخضع إلى قانون جديد ، ينظم الحياة على وفق تعاليم يعد الخروج عليها امرأ منكرا ، جعل العربي ولاسيما البدوي يعيش حالة الصراع بين الجديد والقديم ، فضلا عن ان البدو لم يكونوا على اتصال مباشر بالإسلام ، بل ظلوا يمارسون حياتهم الأولى دون ان يتشربوا التعاليم الجديدة ، وهذا ما يوضحه الدكتور عزة حسن " وليست حال بن مقبل وجيله بدعة بين الحالات ، فهذا الاضطراب والقلق والرجوع إلى القديم والحنين إليه شعور عام يشعر به كل جيل اعتاد نمطا من الحياة ، وثبت عليه أمدا طويلاً ثم اضطر ان يتخلى عنه دفعة واحدة ، ويعتاد نمطا آخر من الحياة يختلف عن حياته الأولى اختلافا كبيرا . .. فيضيع إفرادها بين عهدين، لا هم في القديم ولا هم في الجديد)[٧٣].

ولا يختلف موقف الشاعر منظور بن زبان عن موقف تميم بن أبي مقبل ، فقد تزوج كعادة العرب من امرأة أبيه مليكة بنت سنان ، وكان يشرب الخمر ، فرفع أمره إلى عمر ، فاعترف وقال : ما علمت انها حرام وحلف الا يعود إلى هذا ، بعد ان فرق بينه وبين امرأة أبيه ، فقال لما طلقها آ سفا عليها :

الا لا أُبـــالي اليـــوم مـــا صـــنع الـــدهرُ إذا مُنعـــت منـــي مليكـــة والخمـــرُ

فـــان تـــك قـــد امســـت بعيـــدا مزارهـــا فحـــيَّ ابنـــة المـــريَّ مـــاطلع الفجـــرُ

لعمـــري مـــا كانـــت مليكـــة ســـوءةً ولا ضـــمّ فـــي البيـــت عليهـــا ســـترُ[٧٤]

وقال ايضا مخاطبا مليكة كاشفا عما يبطنه اتجاه الإسلام :

لعمـــر أبـــي ديـــن يفـــرق بيننـــا وبينـــك قســـرا انـــه لعظـــيم[٧٥]

فالجرأة واضحة إلى حد الاستهانة بالتعاليم التي جاء بها الدين الجديد مستخفا بها ، وربما بعثت الزعامة والسيادة التي تمتع بها نوعا من الاستهانة بالأعراف والتقاليد والتعاليم الدينية فكان مصرا على معاقرة الخمرة وارتكاب الفواحش[٧٦] فالشعر تعبير عن الثقافة والتوجهات النفسية ، فكان من الطبيعي ان يكون تأثير الإسلام قليلا هنا ، لانه يخالف أهواء ونوازع من يتمتع بمثل هذه السيادة ويحد من سلطتها .

ويعرب الشاعر أبو الطحمان القيني الشاعر الصعلوك[٧٧] في حنينه إلى حياة الجاهلية ، بما فيها من غارات وسلب ونهب ، وأنه يحن إلى حياة الصعلكة ، التي كاد الإسلام في زمن الرسول (ص) ان يقضي عليها ، فبدلا ان يعلن ندمه عن تلك الحياة ، نجده يعتز بها ، فيقول:

يـــا ربّ مُظْلمـــةٍ يومـــاً لطيـــتُ لهـــا تمضـــي علـــيّ إذا مـــا غـــاب نُصّـــاري

حتـــى إذا مـــا انَجلـــتْ عنـــي غَيَابتُهـــا وثبْـــتُ فيهـــا وثـــوب المُخْـــدرِ الضَّـــارِي[٧٨]

فالغزل المسكوت عنه يعد جرأة اجتماعية في ضوء الدين الإسلامي ، مما دفع الخليفة عمر بن الخطاب (رض) إلى ان يصدر توجيهه للشعراء بان من يُشبب بامرأة يكون مصيره الجلد[٧٩] في محاولة لكبح جماح الشعراء ، وإدراكا منه إلى الخطر الذي يشكله الشعر حين يكون في غير مواقفه الصحيحة مثلما حصل مع الشاعر عبد بني الحسحاس وغزله الفاحش ، وذكره لأسماء نساء قرشيات بأعيانهن ويتغزل بهن غزلا فاحشا كما في قصيدته :

ولقـــد تحـــدر مـــن كريمـــة بعضـــهم عـــلاق علـــى جنـــب الفـــراش وطيـــب

فقال له الخليفة انك مقتول ، ويقال انه انشد عمر القصيدة اليائية وفيها :

توســـدني كفـــاً وتثنـــي بمعصـــم علـــيَّ وتحنـــو رجليهـــا مـــن ورائيـــا

فقال عمر : انك ويلك مقتول[٨٠].

ولعل ابرز ما قضى عليه الإسلام العصبية القبيلة ، مؤكدا فكرة الأمة قال تعالى ((كنتم خير أمة أخرجت للناس))(آل عمران :١١٠) الأمة تستند إلى القانون الإلهي ، لذا يعد من الجرأة ان نجد من الشعراء ان يخوض في ذلك ، ولاسيما في الخلافة الراشدة ، ومن قبل شاعر الدعوة حسان بن ثابت ، فيحرض طرفا على طرف آخر ، فيقول في مقتل عثمان بن عفان :

مـــن ســـرَّهُ المـــوت صـــرفاً لا مـــزاجَ لـــه فلْيـــأْتِ مأســـدةً فـــي دار عثمانـــا

ضَـــحَّو بأشـــمطَ عُنـــوانُ السُّـــجود بـــهِ يُقطِّـــــعُ اللَّيـــــل تســـــبيحاً وقُرآنـــــا

لتســـــمعَنَّ وشـــــيكاً فـــــي ديارهُـــــمُ الله اكبـــرُ يـــا ثـــارات عُثمانـــا[٨١]

فهو وبمنتهى الجرأة يتحدث بنفس جاهلي ويحث أهل الشام على قتال المسلمين وكأنه في عصر ما قبل الإسلام.

وكما ذكرت فان ابن مقبل لم يحدث الإسلام فيه تحولا كبيرا ، فهو كثيرا ما يفحش القول ، ويأتي بالمعاني المبتذلة البعيدة عن الروح السلامية ، في نفس جاهلي ينافي أخلاق الاسلام وأهدافه ، يقول في وقعة صفين :

تمنَّيْـــتَ أنْ تَلقـــى فـــوارسَ عـــامرٍ بصـــحراءَ بـــين السُّـــودِ والحـــدثانِ

أيـــا لهفتـــي ألا تكـــونَ شَـــهدْتهم فَتُســـقى بكأســـيْ ذلَّـــةٍ وهـــوانِ

ولـــو كُنـــتَ جَـــرْمَ الخُنفُســـاءِ شـــهدتهمْ جُعلـــتَ قنـــاةً غيـــر ذات ســـنانِ

ولـــو شـــهدتْ أُمُّ النَّجاشـــيِّ ضـــربنا بصفّـــينِ فـــدَّتْنا بكـــلِّ يمـــان

وجـــاءَتْ بـــه حَيَّاكـــة عرَكِيَّـــةٌ تنازعهـــا فـــي طُهْرهـــا رجـــلانِ[٨٢]

ويكفي البيت الأخير ليعكس المعاني الجاهلية ، في صورة امرأة يتنازعها رجلان ، إشارة إلى انها تتصف بالفجور .

وكان الوليد بن عقبة يكثر من هجاء بني هاشم وهجاء علي بن أبي طالب (ع) متخذا من العصبية القبيلة مجالا له في التحريض على الأخذ بثار عثمان بن عفان (رض) ، فيقول مخاطبا بني هاشم :

وإنـــا وإيـــاكم ومـــا كـــان مـــنكم كصـدع الصـفّا لا يـرأب الصـدعَ شـاعبهُ

هـــم قتلـــوه كـــي يكونـــوا مكانـــه كمـــا غـــدرت يومـــاً بكســـرى مرازِبُـــه[٨٣]

وكأنه يرى في الخليفة إمبراطورا، كما هو الحال في أباطرة الفرس.

ولعل من أوضح المواقف قصيدة الحطيئة في هجاء الزبرقان في قصيدة تذكي الفتنة العصبية، ولكن الزبرقان لم ينشد السلامة فأثار حفيظة الحطيئة فهجاه بقصيدته المشهورة والتي ابتدأها بمدح من أكرموه آل شماس وهم أبناء عمومة للزبرقان ورهطه فقد طرق الحطيئة باب الزبرقان كما يطرقه بقية الضيفان ولكن الزبرقان وامرأته لم يكرماه كما ينبغي أو قل لم يبالغا في إكرامه وقد كانت زوجة الزبرقان تغار من مليكة ابنة الحطيئة فانصرفت عن إكرامه ثم انصرف زوجها الزبرقان

مما جعل الحطيئة يتحول عنهما إلى بني شماس أبناء عمومة الزبرقان وكانت بينهم وبين الزبرقان ورهطه خصومة فأكرموا الحطيئة وبالغوا في ذلك وطلبوا منه هجاء الزبرقان فلم يفعل وابى عليهم ذلك ولكن الزبرقان طلب من شاعر آخر ان يهجو له بني شماس فلما سمع الحطيئة ذلك قام بهجاء الزبرقان ورهطه وهو كاره لذلك لكنه لم يكن ليسكت على هجاء من أكرموه وكأنه رأى في ذلك تحرشا من الزبرقان فقال قصيدته السينية التي بدأها بمدح بني شماس ثم هجاء الزبرقان ورهطه ومنها قوله :

لما بدا لي منكم غيب أنفسكم ولم يكن لجراحي فيكم آسِ
أزمعت يأساً مريحاً من نوالكم ولن ترى طاردا للحرِّ كالياسِ
جار لقومٍ أطالوا هُون منزله وغادروهُ مقيماً بين أرماسِ
ملُّوا قراهُ وهرته كلابهمُ وجرَّحوهُ بأنياب وأضراس
دع المكارمَ لا ترحلْ لبغيتها واقعدْ فانك أنت الطاعمُ الكاسي
سيري امام فان الاكثرين حصى والاكرمين ابا من آل شماس
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس[٨٤]

ولقد كانت هذه القصيدة سببا في سجن الحطيئة حيث استعدى الزبرقان عمر بن الخطاب على الحطيئة فذكر له ما قال فيه من تلك الأبيات فاظهر عمر للزبرقان انه لا يرى في هذا هجاء ولقد كان عمر بصيرا بالشعر ولكنه أراد ان يدرأ الحد بالشبهة ثم استدعى حسان بن ثابت فقال مقولة مفادها ان الحطيئة لم يهج الزبرقان فحسب بل أقذع في هجائه أيضا، فأودع عمر الحطيئة السجن فلبث في السجن مالبث ولكنه استعطف عمر بقصيدة ما أظن ان نجد في أدبنا أجمل منها في هذا الغرض حيث قال في ابيات تعكس الرقة والاستعطاف من شاعر جرئ:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخٍ زغب الحواصل لا ماء ولاشجرُ
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمةٍ فاغفرْ عليك سلامُ الله يا عمرُ
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقى إليه مقاليد النُّهى البشرُ[٨٥]

ومما يروى ان عمر رقَّ لحال الحطيئة بعد سماع هذه الأبيات حتى بكى فأمر بإخراجه من سجنه وأعطاه ما يسد حاجته ويقال انه اشترى منه إعراض المسلمين فدفع إليه الأموال ليكف عن الهجاء الذي أصبح من الإغراض التي لا تتلائم مع المبادئ الجديدة للدعوة الإسلامية .

ولا يكاد يختلف الموقف للخليفة عمر بن الخطاب من قضية هجاء النجاشي لبني العجلان ، وحاول فيها الخليفة إن يوجه الهجاء وجهة أخرى ، وهو هجاء يعكس الجرأة لهولاء الشعراء الذين لا تكاد تتشرب فيهم القيم الإسلامية ، يقول النجاشي :

اذا عـــادى الله أهـــل لـــؤم ورقـــة فعـادى بنـي العجـلان رهـط ابـن مقبـل

قبيلـــــة لا يغـــــدرون بذمـــــة ولا يظلمـــون النـــاس حبـــة خـــردل

ولا يـــــردون المـــــاء الا عشـــية اذا صـــدر الـــوراد عـــن كـــل منهـــل

تعـــاف الكـــلاب الضـــاريات لحـــومهم وتأكـــل مـــن كعـــب وعـــوف ونهشـــل

ومـــا ســـمي العجـــلان الا لقـــيلهم خـذ العقـب واحلـب ايهـا العبـد وأعجـل

والأبيات تعبر عن نزعة جاهلية تقوم على سلب الشخص المهجو القيم التي طالما اعتز بها المجتمع الجاهلي ، كالشجاعة ناعتا إياهم بالضعف بين القبائل ، فضلا عن خبث نفوس هؤلاء القوم لدرجة تعافهم حتى الكلاب الضارية لنتانة هذه اللحوم وقبحها ، محاولا ان يصفهم بالوضاعة لقيامهم بالإعمال التي يقوم بها العبيد من الحلب وغيره . فإننا نجد أنفسنا إمام عودة إلى عصر ما قبل الإسلام ، لتظهر فكرة العقوبات إزاء هذه الجرأة على القيم الإسلامية الجديدة ، فيهدد الخليفة بقطع لسان الشاعر ان عاد إليها .[٨٦] والنجاشي من الشعراء الذين عرفوا بالفسق والرقة في الدين[٨٧] فقد روي عنه انه شرب الخمر في رمضان فأقيم عليه الحد[٨٨] .

فهجاء النجاشي ابعد ما يكون عن الروح السلامية ، بل هو إحياء لتقاليد الجاهلية ، حد الفحش والقذف في الإعراض ، يقول في هجاء أهل الكوفة :

أذا ســـقى الله أرضـــاً صـــوب غاديـــةٍ فـــلا ســـقى الله ارض الكوفـــةِ المطـــرا

التَّـــاركين علـــى طُهـــرٍ نساءهـــمُ والنـــاكحين بشـــطَّي دجلـــةَ البقـــرا

والســـارقين إذا مـــا جـــنَّ لـــيلُهُم والطَّـــالبين إذا مـــا أصـــبحوا السُـــورا[٨٩]

لذا نجد من النقاد من يقرر حقيقة مفادها ان شعراء الإعراب كانوا يقفون موقف المتربص من الدين الجديد وكان في قلوبهم خشية من انتصاره ومن ثم دك العادات الجاهلية ، التي كانوا يعيشون في ظلالها سواء بالمديح التكسبي أم الهجاء ، وهي من الإغراض التي لم تعد مرغوبة في الإسلام ن مما اضطرهم للدخول للإسلام ، وما ان توفي الرسول الأعظم (ص) حتى ارتد الكثير منهم ، فلما استقرت الدعوة من جديد عادوا إلى الإسلام متأرجحين في القيم [٩٠] فالإسلام مثل عند البعض قيودا حاولوا التحرر منها ، كما في رفض بعض القبائل دفع فريضة الزكاة، متناسين إبعاد هذه الفريضة

الإنسانية والاجتماعية ، كما ان كثيرا منهم دخل في الإسلام بعد ان قويت شوكته ، فخاف على مكاسبه الشخصية ، فلا عجبا ان يصدر في شعر هؤلاء الحنين إلى واقعهم المنحدر آنذاك فهم حين يبكون ماضيهم البائد انما يأسفون على زوال تقاليد اجتماعية وأنماط توفر لهم ظروفا مناسبة للاستئثار بالسلطة والثروة دون الناس جميعا ، فكره معظمهم الإسلام وكان إسلامهم لفظيا[٩١].

ان هؤلاء الشعراء وان عبروا عن تأرجحهم وتذبذبهم فقد كانوا شهداء على تلك المرحلة الانتقالية ، وصورة أفادت ان هناك واقعا إسلاميا جديدا يتكون في النفوس والعقول ويجتاح واقعا آخر لازال حي عند الآخرين .

الخاتمة

ان مجيء الإسلام احدث تغييرا كبيرا وردة فعل كبيرة في حياة العرب ، فقد كان العرب يعرفون فكرة القبيلة وتربطهم رابطة الدم مع بعضهم . فإذا جنى احدهم جناية ، انتفضت القبيلة للأخذ بالثار . فلما جاء الإسلام اخذ يحل محل القبيلة فكرة الأمة التي قال تعالى عنها ((كنتم خير امة أخرجت للناس)٩(آل عمران :١١٠) الأمة التي تدين إلى القانون الإلهي ، وقد وضع القرآن ضربا من العدالة الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية للناس . فإذا هم أمة واحدة لافرق بين أبنائها إلا في التقوى ، هذا من جانب ومن جانب آخر نجد ردود فعل نفسية عنيفة كان يعيشها العرب أثر مجيء الإسلام وقيام دولة موحدة يخضع العرب لقوانينها ، حتى كاد الإسلام ان يكون أشبه بالسلاسل التي تحيط بالرقاب[٩٢] من هنا ظهرت مجموعة من الشعراء لاسيما المخضرمين عرفوا بجرأتهم على الواقع السياسي والديني والاجتماعي الجديد ، فكان إسلامهم سطحي لم يتغلغل إلى أعماق نفوسهم ، وبدا ذلك جليا في إشعارهم ، من أفكار جاهلية تخالف ما جاء به الاسلام من مبادئ ، وظهر ذلك واضحا بعد وفاة الرسول (ص) وكأن هذه القبائل قد تملصت عما في ذمتها من واجبات كالزكاة وغيرها ، كان على أثرها حروب الردة وما صاحبها من إراقة الدماء ،وصاحب ذلك كله حنين الى البداوة وحنين إلى الأيام الخوالي من شرب الخمر وعصبيات قبلية وغزل فاحش ونقد لسياسة يعتقد انها خاطئة . وربما كان وراء ذلك أسباب شخصية تتعلق بالظروف التي يعيشها الشاعر ، ومثالها الحطيئة وما اتصف به من صفات جسدية ومعنوية متعلقة بالنسب .او أسباب عامة أحاطت بالمجتمع وما أصابه من فتن واضطرابات جعلت البعض ينظر إلى المجتمع نظرة عداء وعدم مواءمة . واعتقد ان الشعراء قد نجحوا في إيصال الرسالة إلى المتلقي من خلال نصوصهم الشعرية .

الهوامش

١. دلائل الإعجاز ١٣،العمدة:٢/١٧٠ و ١/٢٧.

٢. الشعر والشعراء:.٦٧

٣. العمدة :١/.٢٣

٤. العمدة :١/.٣١

٥. الطرائف الأدبية :.٣

٦. الاغاني٤/ ١٢٢..١٢٣

٧. الأغاني ٨/.٢٤٣

٨. الفاضل ٤/.٢٤

٩. العقد الفريد ٦/١٢٠..١٢١

١٠. الصناعتين .٣٤٢

١١. البيان والتبيين ٢/.١٨٠

١٢. العمدة :١/٣٠.

١٣. ينظر : الصحاح في اللغة والعلوم:مادة جرأ، لسان العرب : مادة جرأ.

١٤. ينظر : جمهرة اللغة لابن دريد : مادة جرأ: ٣/.٢٢٣

١٥. ينظر: قاموس الياس العصري:١٠٩مادة جرأ.

١٦. ينظر : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم:٢/.١٦٢

١٧. ينظر الجرأة والشجاعة عند العرب : .١٣٤

١٨. سنن الدارمي:١/.٣٥

١٩. مسند الإمام احمد بن حنبل:٣/.٣٧

٢٠. الأوائل :٢٤٦..٢٤٧

٢١. ينظر : الاستيعاب في معرفة الاصحاب : ٢/.٣٧٢

٢٢. ديوان الحطيئة :١٩٣. .١٩٥

٢٣. الشعر والشعراء:.٢٠٣

٢٤. الأغاني ٢/.١٦٣

٢٥. ينظر :حديث الأربعاء : ١/١٣١..١٣٤

٢٦. حديث الأربعاء:١/١٢٩.

٢٧. ينظر: الأغاني :٢/١٩٥. ١٩٧

٢٨.: ينظر : تعددية النمط في الشعر الجاهلي ٥٧٨..٥٨٦

٢٩. ديوان الحطيئة : ٢٥٩..٢٦٠

٣٠. ينظر : الكامل في اللغة والادب :١/.٢٢٩

٣١- ينظر:الشعر والشعراء :٢٧٤.

٣٢. الأغاني ٧٢٢٣.

٣٣- المؤتلف والمختلف ١٣٣.

٣٤- الاستيعاب ١٨٢/٤ ، وخزانة الأدب ٥٥٣/٣.

٣٥- الإصابة ١٧٣/٤.

٣٦- جمهرة أنساب العرب ٢٦٨ وانظر: الأعلام ٧٦/٥، ١٦٧/١ .

٣٧- دائرة المعارف الإسلامية ٥٩٧/١.

٣٨- شرح أبيات المغني للسيوطي ١٠١/١.

٣٩- الإصابة ١٨٢/٤، وخزانة الأدب ٥٥٣/٣.

٤٠- الأغاني ٧٢٢٤ و٧٢٢٥.

٤١. – تاريخ الطبري ٣٨/٤ .

٤٢- ينظر ذلك مفصلاً في: تاريخ الطبري ٥٤٨/٣، ومروج الذهب ٣٢٣/٢، والاستيعاب ١٨٣/٤ و١٨٧، والكامل في التاريخ ٤٧٥/٢، والإصابة ١٧٤/٤، وطبقات فحول الشعراء ٢٦٨، والشعر والشعراء ٤٢٣.

٤٣- الأغاني ٧٢٢٤.

٤٤- ينظر: ديوانه ٥٣.

٤٥- ينظر: الإصابة ١٧٤/٣.

٤٦- شرح أبيات المغني للبغدادي ١٤٤/١.

٤٧- طبقات فحول الشعراء ٢٦٨.

٤٨- دائرة المعارف الإسلامية ٥٩٨/١.

٤٩- مقدمة ديوان أبي محجن ٦.

٥٠. ديوان ابي محجن الثقفي: ٣٣.

٥١. المصدر نفسه : ٣٦. ٣٧.

٥٢. المصدر نفسه :٤١ . .٤٢

٥٣. أسد الغابة :٣٧٥/٥.

٥٤. الأغاني ١٣/ ١٢.

٥٥. الشعر والشعراء :.٢٥١

٥٦. سمط اللالى في شرح أمالي القالي :٣٣٢./١

٥٧. الشعر والشعراء:٢٥١.

٥٨. ينظر : رسالة الغفران :.٢٧٤

٥٩. أسد الغابة :١/ .٢٥٢

٦٠. تاريخ الادب العربي ، بلاشير :٢٧٧./٢

٦١. الأغاني ٤٠/١٢. ٤١.

٦٢. ديوان تميم بن مقبل :٧.

٦٣. الأدب العربي :٢٢٦.

٦٤. ينظر: ديوان تميم بن مقبل :.٧

٦٥. المصدر نفسه: ٣٠٧.

٦٦. ديوان تميم بن ابي مقبل :.٢٦٧

٦٧. الأدب العربي من ظهور الإسلام حتى العصر الراشدي: .٢٢٦

٦٨. طبقات فحول الشعراء ٦٣.

٦٩. ديوان تميم بن ابي مقبل : .١٣٧

٧٠. المصدر نفسه : ١٣٧. .١٣٨

٧١. ملامح الرمز في الغزل العربي القديم :.٣١٠

٧٢. ديوان تميم بن ابي مقبل : .١٣٨

٧٣. ديوان ابن مقبل: ١٣. .١٣

٧٤. الأغاني : ٢٢٧./١٢

٧٥. الأغاني ١٥/ ١٩٣. ١٩٤.

٧٦. ينظر الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي :٢٢٧.

٧٧. الأغاني ٣/١٣.

٧٨. إشعار اللصوص وإخبارهم ٧٨.

٧٩. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب:١/.٣٧٨

٨٠. ينظر : الشعر والشعراء:٢٦٤.

٨١. شرح ديوان حسان بن ثابت:٤٦٨..٤٦٩

٨٢. ديوان تميم بن ابي مقبل : .٢٨٣

٨٣. الأغاني: ١٢٢/٥.

٨٤. ينظر النص كاملا ديوان الحطيئة :٤٤. .٥٢

٨٥. المصدر نفسه :١٩١..١٩٢

٨٦. الشعر والشعراء:.٢١٠

٨٧. المصدر نفسه : .٢٠٩

٨٨. المصدر نفسه :.٢٠٩

٨٩. المصدر نفسه : ٢٠٩. .٢١٠

٩٠. ينظر : الحطيئة البدوي المحترف :.٦٦

٩١. ينظر الأدب العربي منذ ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي : ١٥٧و.٢٣١

٩٢. يقول الشاعر :

فليس كعهد الدار يا أم مالـكٍ ولكــن أحاطت بالرقاب السلالُ

وعاد الفتى كالكهل ليس بقائلٍ سوى العدل شيئا فاستراح العواذلُ

ديوان الهذليين :١٥٠/٢

قائمة المصادر

ـ الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي، د. حبيب يوسف مغنية ، دار الهلال . بيروت ، ٢٠٠٢.

ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عبد البر النمري القرطبي ، مصورة دار إحياء التراث العربي في بيروت ط ١٣٢٨/١هـ

. أسد الغابة ، ابن الأثير الجزري،كتاب الشعب . القاهرة،(د.ت).

. إشعار اللصوص وإخبارهم ، عبد المعين الملوحي ، دار الحضارة الجديدة . بيروت ، ط٢، ١٩٩٣.

ـ الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ،مصورة دار إحياء التراث العربي في بيروت ، وبهامشه الاستيعاب. ،١٣٢٨هـ .

. الإعلام ، لخير الدين الزركلي. ط ٥ دار العلم للملايين في بيروت ١٩٨٠

. الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب . القاهرة ، (د.ت).

. الأوائل ن أبو هلال العسكري،وزارة الثقافة والإعلام . دمشق،١٩٧٥.

. البيان والتبيين ، للجاحظ ، تح:عبد السلام محمد هارون. ط ٤ مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٧٥.

. تاريخ الأدب العربي ، بلاشير، وزارة الثقافة . دمشق ،١٩٧٣.

. تاريخ الطبري ، تح:محمد أبو الفضل إبراهيم. ط ٣ دار المعارف في مصر ١٩٧٩

. تعددية النمط في الشعر الجاهلي، د. خالد محي الدين البرادعي ، منشورات وزارة الثقافة . سوريا ، ٢٠٠٥.

. الجرأة والشجاعة عند العرب ، محمد عبد الرحيم ، موسوعة روائع الأدب العربي ، دار الراتب الجامعية ، (د.ت).

. جمهرة انساب العرب ، لابن حزم الأندلسي ، ط ١ دار الكتب العلمية في بيروت ١٩٨٣.

. جمهرة اللغة ، ابن دريد ، مكتبة المثنى . بغداد ، (د.ت).

. حديث الأربعاء، د. طه حسن ، دار المعرف . القاهرة ، (د.ت).

. الحطيئة البدوي المحترف ، درويش الجندي ، مكتبة نهضة مصر . القاهرة ، ١٩٦٢.

. خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي ، مصورة دار صادر في بيروت دون تاريخ.

. دائرة المعارف الإسلامية ، دار الشعب . القاهرة دون تاريخ.

. ديوان أبو محجن الثقفي ،برواية أبو هلال العسكري ،دار الكتاب الجديد ت بيروت ،١٩٧٠.

. ديوان تميم بن ابي مقبل ،تح : د. عزة حسن ، مطبوعات احياء التراث القديم . دمشق ،١٩٦٢.

. ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت ، تح : د. نعمان محمد أمين ، مكتبة الخانجي . القاهرة ، ١٩٨٧.

. ديوان الهذليين ، دار الكتب والوثائق القومية ، مركز تحقيق التراث ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية . القاهرة ، ط٣، ٢٠٠٣.

. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ، تح : تصحيح : محمد عبده ، دار المعرفة . لبنان ، ١٩٨١.

. رسالة الغفران ، ابو العلاء المعري ، قدم له وشرحه : د. مفيد قميحة ، دار ومكتبة الهلال . بيروت ،٢٠٠٠.

. سمط اللالي في شرح أمالي القالي ، البكري ، تح: عبد العزيز الميمني ، ط٢، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت ، ١٩٨٤.

. سنن الدارمي ، الحافظ ابي محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، تخريج وتصحيح : عبد الله بن هاشم يماني المدني ، المدينة المنورة ، ١٩٦٦.

. شرح أبيات مغني اللبيب لعبد القادر البغدادي ، تح:أحمد يوسف دقاق، وعبد العزيز رباح. ط ١ دار المأمون للتراث في دمشق ١٩٨١.

. شر ديوان حسان بن ثابت، ضبط الديوان وصححه : عبد الرحمن البرقوقي،دار الأندلس . بيروت ،١٩٨٠

. الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، قدم له : الشيخ حسن تميم ، راجعه واعد فهارسه : الشيخ محمد عبد المنعم العريان ، دار إحياء العلوم . بيروت ، ط٢، ١٩٨٦.

ـ شمس العلوم ودواء كلام العرب من المكلوم ، نشوان بن سعيد الحميري ،تح : ا.د. حسين عبد الله العمري ، ا . مطهر بن علي الارياني ، أ.د. يوسف محمد عبد الله ، دار الفكر المعاصر . بيروت ، دار الفكر . سوريا ، ١٩٩٩.

ـ الصحاح في اللغة والعلوم ، الجواهري ، تقديم عبد الله العلالي ، إعداد وتصنيف نديم مرعشلي ، اسامة مرعشلي ،د.ت).

. الصناعتين، أبو هلال العسكري عيسى البابي الحلبي ، القاهرة، (د.ت).

ـ طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي ، شرح : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية (د.ت)

. الطرائف الأدبية ، صححه وأخرجه :عبد العزيز الميمني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ، ١٩٣٧.

. العقد الفريد ، ابن عبد ربه الأندلسي ، شرحه : احمد أمين وآخرون ، لجنة التأليف والترجمة . مصر ، ١٩٦٥.

ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ابن رشيق القيرواني ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة . القاهرة ، ١٩٥٥.

. الفاضل ، المبرد ، تح : عبد العزيز الميمني ، دار الكتب المصرية ، ١٩٥٦.

. قاموس الناس العصري عربي . انكليزي، الياس انطوان الياس ، دار الجيل . بيروت ، دار الياس العصرية . القاهرة ، ١٩٧٩.

. الكامل في التاريخ ،لابن الأثير ، دار صادر . بيروت ١٩٧٩.

. الكامل في اللغة والادب ،المبرد ، مؤسسة المعارف . بيروت ،(د.ت)

. لسان العرب ، ابن منظور ، دار لسان العرب . بيروت ، ١٩٧٠.

. مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي تح:محمد محيي الدين عبد الحميد. ط٤ مطبعة السعادة بمصر ١٩٦٤.

. مسند الإمام احمد بن حنبل، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، دار صادر . بيروت ، (د.ت).

. ملامح الرمز في الغزل العربي القديم ، د. حسن جبار محمد ، دار السياب . لندن ، ٢٠٠٨.

. المؤتلف والمختلف لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي ،تح:عبد الستار أحمد فراج. دار إحياء الكتب العربية بمصر ١٩٦١م